الفصل العاشر

ألحان الحماسة والنصر فى حب مصر

كان للأغنية الوطنية التى شدا بها مطربون مصريون يعشقون تراب بلدهم عظيم الأثر فى إلهاب حماس الجنود والمقاتلين على الجبهة قبل وأثناء المعركة من خلال كلمات لشعراء استفزهم وضع الهزيمة المرة وتشوقوا للنصر واسترداد الأرض، فأثناء وجود الجنود على الجبهة كان المطربون والملحنون لا يغادرون الاستديوهات فى الإذاعة المصرية لإتمام تسجيل أغانيهم الوطنية، مؤمنين بأن هذا الدور الوطنى لا يقل شرفًا عن دور المقاتل على الجبهة، وحتى يتسنى لنا أن نعيش تلك الأيام الجميلة التى تضافرت فيها جهود مطربى مصر الشرفاء مع قواته المسلحة من خلال أغانى ضربت المثل للوطنية الخالصة، فإننا نعرض لأهم ما قُدم من أغانٍ فى تلك الفترة، سواء قبل المعركة أو أثناء بدء القتال فى السطور التالية:

■العندليب الأسمر.. أبر بقسمه:

حليم وبليغ حمدى فى الإذاعة المصرية أثناء تسجيل إحدى الأغانى الوطنية

كانت أغنية (أحلف بسماها وبترابها) هى الأغنية التى أقسم العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ أن يبدأ بها كل حفلاته بعد نكسة ١٩٦٧م حتى تزول الهزيمة ويأتى النصر، وظل بارًا بقسمه حتى جاء نصر أكتوبر ١٩٧٣م، وذلك لإيمانه العميق بأن النصر آتٍ لا محالة لثقته فى القوات المسلحة المصرية التى سترفض الهزيمة وتهب لاستعادة الأرض ورفع راية مصر ولتيقنه من أن دور الفنان الوطنى واجب حتمى تجاه بلده أثناء المحن والأزمات، وكانت كلمات الأغنية هى :

أحلف بسماها وبترابها

أحلف بدروبها وأبوابها

أحلف بالقمح وبالمصنع

أحلف بالمدنة وبالمدفع
باولادى بأيامى الجاية
ما تغيب الشمس العربية
طول ما انا عايش فوق الدنيا

■ **ألهمته .. صيحة الله أكبر:**

بعد اندلاع الحرب وعبور الموجات الأولى للجنود للضفة الشرقية لقناة السويس، ألهبت صحف يوم الأحد السابع من أكتوبر حماسة المصريين بحديثها عن عبور الجنود لقناة السويس وهم يرددون – مسلمين ومسيحيين – صيحة ((الله أكبر.. الله أكبر .. الله أكبر))، ومن هنا جاءت فكرة أغنية «بسم الله» للشاعر الغنائى عبد الرحيم منصور بعد أن ألهمته صيحة الله أكبر للجنود بفكرة الأغنية، وقد تلقف الموسيقار المبدع بليغٍ حمدى كلمات عبد الرحيم منصور ليضع لها لحنًا بسيطًا يسهل على جموع الشعب ترديده، وسرعان ما سجل بليغ حمدى الأغنية الأولى عن حرب أكتوبر فى استوديو (٤٦) بالإذاعة لينطلق بها صوت المنشدين منذ اليوم الثانى للحرب، ولعل أهم ما تميزت به هذه الأغنية – إلى

جانب البناء على صيحة (الله أكبر) – هو مباشرة الأفكار وبساطة الصياغة، مما جعلها على كل لسان منذ أول إذاعة لها، وفيما يلى نقدم المقطع الأول من هذه الأغنية الشديدة البساطة والجمال معًا :

بسم الله الله أكبر بسم الله
بسم الله أذن وكبر بسم الله
نصرة لبلدنا بسم الله بسم الله
بإيدين ولادنا بسم الله بسم الله
وأدان على المادنة بسم الله بسم الله
بيحيى جهادنا بسم الله بسم الله
الله أكبر أذن وكبر
وقول يا رب النصرة تكبر

■ أم البطل .. تغنى من قلبها:

ولا يمكن أن ينسى من عاش تلك الأيام المجيدة – أيام النصر – أغنية «أم البطل»، التى جاءت بكلماتها الصادقة من قلب أم فقدت ابنها شهيدًا فى حرب أكتوبر وهى المطربة شريفة فاضل، وكانت الأغنية من كلمات الشاعرة نبيلة

قنديل ومن ألحان على إسماعيل، وقد لاقت هذه الأغنية قبولاً وتعاطفًا كبيرًا من جموع الشعب المصرى، حيث كان الجميع يستمعون إلى صوت شريفة فاضل فى تلك الأغنية وقد امتلأ بالأسى واختنق بالدموع، وهم يعرفون أن سبب ذلك الأسى وتلك الدموع هو استشهاد ابن شريفة فاضل فى معارك أكتوبر، ولا شك فى أن استعادة بعض من أبيات هذه الأغنية الوافرة الصدق والإنسانية يمكن أن يكون تذكيرًا للأجيال الحالية بمن سقط فى حرب أكتوبر المجيدة من شهداء – لتعود لنا أرضنا وكرامتنا – من أبناء مصر :

ابنى حبيبى يا نور عينى بيضربوا بيك المثل
كل الحبايب بتهنينى طبعًا ما أنا أم البطل
يا مصر ولدى الحر
إتربى وشبع من خيرك
إتقوى من عظمة شمسك
إتعلم على أيد أحرارك
إتسلح بإيمانه واسمك
شد الرحال

شق الرمال

هد الجبال

عدى المحال

زرع العلم

طرح الأمل

وبقيت أنا أم البطل

■ على الربابة تغنى فى حب الوطن:

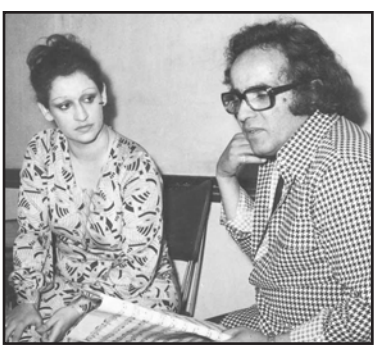

وردة وبليغ حمدى أثناء تسجيل إحدى الأغانى الوطنية

وتعد أغنية «حلوة بلادى» ثانى الأغنيات الوطنية التى قدمها بليغ حمدى خلال إقامته المستمرة بمبنى الإذاعة والتلفزيون أثناء أيام الحرب، وتبدأ هذه الأغنية – التى وضع لها بليغ حمدى لحنًا شعبيًا فائق الجمال يتردد بين المطربة «وردة» ومجموعة المنشدين – بالمقطع التالى :

حلوة بلادى

السمرة بلادى

الحرة بلادى

الخضرة بلادى

وأنا على الربابة بغنى

ما املكش غير أنى أغنى

وأقول تعيشى يا مصر

وأنا على الربابة بغنى

ما أملكش غير غنوة أمل للجنود

أمل بالنصر

ليكى يا مصر

■ **خيوط الفجر بتنور .. وأراضينا بتتحرر:**

كتبت كلمات أغنية «سمينا وعدينا» الشاعرة علية الجعار، ولحنها عبد العظيم محمد، وانطلق بها الصوت القدير للمطربة شهر زاد، وقد اختار عبد العظيم محمد

للأغنية قالب الطقطوقة وبدأتها شهر زاد بغناء المذهب (المطلع) الذى جاء نصه على النحو التالى :

جمعنا كل قوتنا وساندتنا عروبتنا

وسمينا وعدينا وإيد المولى ساعدتنا

ومضت بقية أغصان (أى مقاطع) الأغنية بعد ذلك فى صورة حوار بين صوت شهر زاد وأصوات مجموعة المنشدين، حيث كانت شهر زاد تبدأ بغناء الشطر الأول من البيت، لتتبعها مجموعة المنشدين بترديد الشطر الثانى، وهو ما يتضح للقارئ من النص التالى للغصن الأول فى الأغنية :

شهر زاد : سمينا وعدينا

المجموعة : وشقينا طريق النصر

شهر زاد : وإيد المولى ساعدتنا

المجموعة : ورجعنا ابتسامة مصر

ولم تفت الشاعرة علية الجعار – التى عرفت بتوجهاتها الدينية – فرصة الأجواء الدينية والمشاعر الإيمانية المصاحبة لمعركة العبور، فعبرت عنها فى المقطع الثانى من الأغنية على النحو التالى :

شهر زاد : خيوط الفجر بتنور وكل الشعب بيكبر

وفى رمضان وبالإيمان أراضينا بتتحرر

وكان هنك العديد من الأغانى الوطنية الأخرى التى أثرت فى وجدان الجنود على الجبهة، وألهمت حماسهم، وظلت عالقة فى أذهان كل من عاصروا تلك الأيام المجيدة، وتعيد كل من يسمعها لأيام النصر العظيم .

■الأغنية الوطنية ودراسة لها دلالات:

وقد قدمت مجلة ((الإذاعة والتلفزيون)) فى عددها رقم ٢٠٢٠ الصادر فى ١٩٧٣/١٢/١م بيانًا بما أطلقته الإذاعة خلال الأيام الأولى من الحرب من أغنيات، وقد أوضح البيان أن عدد ما قدم من أغنيات وطنية جديدة منذ اندلاع الحرب وحتى الأيام الأولى من شهر نوفمبر ١٩٧٣م قد بلغ ٣٤ أغنية، وبمراجعة هذا العدد من الأغنيات تبين أن ما دار منها حول الأجواء الدينية للحرب وما صحبها من مشاعر إيمانية بلغ فى العدد ست أغنيات، وهى تمثل ما يقرب من ١٨٪ من مجمل ما أنتج من أغنيات وطنية، وفيما يلى نقدم أسماء هذه الأغنيات مرفقًا بها أسماء المؤلف والملحن والمؤدى :

اسم الأغنية	اسم المؤلف	اسم الملحن	المؤدى
صدق وعده	عبد الفتاح مصطفى	بليغ حمدى	المجموعة
بسم الله	عبد الرحيم منصور	بليغ حمدى	المجموعة
سمينا وعدينا	عليه الجعار	عبد العظيم محمد	شهر زاد
الفجر لاح	مرسى جميل عزيز	بليغ حمدى	عبد الحليم حافظ

اسم الأغنية	اسم المؤلف	اسم الملحن	المؤدى
صوت المآذن	أحمد عثمان المراغى	أحمد صدقى	نجاح سلام
آمن بكفاحك	حسين السيد	عبد العزيز محمود	المجموعة

ويتبقى من الأغنيات الأربع والثلاثين التى أنتجتها الإذاعة فى أكتوبر من عام ١٩٧٣م ثماني عشرة أغنية ونقدم فيما يلى البيانات الكاملة لهذا العدد من الأغنيات:

اسم الأغنية	اسم المؤلف	اسم الملحن	المؤدى
حقك معاك	كمال بدر	عبد العظيم محمد	المجموعة
بالأحضان يا سينا	محمد كمال بدر	أحمد صدقى	المجموعة
عبرنا الهزيمة	عبد الرحيم منصور	بليغ حمدى	شادية
صبرنا وعبرنا	كمال عمار	محمود الشريف	ثلاثى النغم والمجموعة
سكة واحدة	عبد الرحيم منصور	بليغ حمدى	وردة
يا قمر خدنى	نادر أبو الفتوح	بليغ حمدى	عفاف راضى
خلى السلاح صاحى	أحمد شفيق كامل	كمال الطويل	عبد الحليم حافظ

اسم الأغنية	اسم المؤلف	اسم الملحن	المؤدى
لفى البلاد يا صبية	محسن الخياط	محمد الموجى	عبد الحليم حافظ
شعارات جماعية	حسين السيد	محمد الموجى	المجموعة
أنشودة العبور	كمال عبد الحليم	عبد العظيم محمد	فايدة كامل
جندى بلادى	عبد الرحيم منصور	بليغ حمدى	موفق بهجت
من باب الفتوح	كمال عمار	محمود الشريف	نجاة الصغيرة
المعارك وحدتنا	محسن الخياط	حلمى بكر	المجموعة
عاش اللى قال	محمد حمزة	بليغ حمدى	عبد الحليم حافظ
الحرب والسلام	عبد الرحيم منصور	أحمد فؤاد حسن	وردة
تسلمى يا شدة	السعيد أبو العيلة	محمود الشريف	عفاف راضى
ابنى البطل	نبيلة قنديل	على إسماعيل	شريفة فاضل
وجنب بعض	عبد الرحيم منصور	بليغ حمدى	وردة

ونستنتج من البيان السابق مايلى :

- أن لدينا إذاعة وطنية ضربت أروع الأمثال فى الوطنية ومساندة قضايا الوطن بتوجيه كل مواردها وطاقتها فى خدمة تحقيق الأهداف العليا للبلاد بإنتاج أجمل الأغانى الوطنية التى تعبر عن نبض الشارع المصرى وتلهب حماس المقاتلين على الجبهة.

- كما تبين أن اثنين من أهل الغناء فقط كانا وراء إنتاج العدد الأكبر من هذه الأغنيات، أولهما هو الموسيقار بليغ حمدى الذى لحن اثنتى عشرة أغنية، وثانيهما هو الشاعر الغنائى عبدالرحيم منصور الذى كتب كلمات سبع من هذه الأغنيات، فضلاً عن إحجام صلاح جاهين وكمال الطويل عن تقديم أعمال على الساحة الغنائية فى ذلك الوقت نظرًا لتراكمات صدمة ما حدث فى نكسة ٦٧ والتى صاحبت بعض شعراء وملحنين العصر، وأفقدتهم الثقة فى المعلومات والبيانات التى تذاع عن المعركة، ففضلوا الابتعاد وعدم تقديم أعمال.

- وتتضح الحقيقة الثانية فى بقاء عبد الحليم حافظ – صوت الثورة فى الستينيات – فى الصدارة من الأصوات بما قدمه من أغنيات، حيث قدم أربع أغنيات هى (خلى السلاح صاحى – لفى البلاد يا صبية – الفجر لاح – وعاش اللى قال)، ويستدل من

ذلك أن الغناء للوطن وقضاياه لا يكون حكرًا على عهد أو تعبيرًا عن أيدولوجية فكرية أو سياسية.

- وتتبقى هنا أهم الحقائق التى أثبتها ذلك البيان، وهى أن معظم الغناء فى تلك الأغنيات كان جماعيًا، حيث كان الصوت الغنائى فى إحدى عشرة أغنية منها للمجموعة (أى ما يقرب من ثلث عددها)، بينما لعبت أصوات المجموعة أدوارًا مهمة فى كثير من الأغنيات التى أدتها أصوات فردية لمطربين أو مطربات، مما يعطى دلالة مهمة مضمونها أن الغناء الجماعى هو الأكثر صدقًا فى التعبير عما تحس به الشعوب من مشاعر فى اللحظات المصيرية من تاريخها.

وعلى الجانب الآخر تسابق ممثلى مصر ليقوموا بدورهم تجاه وطنهم بتجسيد تلك المعركة المجيدة من خلال اشتراكهم فى أعمال فنية .. فهل نجحت السينما والدراما المصرية فى هذا؟.. وهل ما قدموه من أعمال كافى لرسم صورة شبه مكتملة عن الحرب؟.. وهل هناك تقصير فى إنتاج مثل هذه الأعمال ؟.. وما هو الدور المنوط بالقوات المسلحة فعله تجاه ذلك؟...

□□□